٧ آب ... أبرياء في صراع القوى الكبيرة

الجزء الثاني والاخير

تحقيق: ابو راميل

وفي ١٧ تموز خصوصا بعد عودة الملك يالقو من الحدود السورية الى دهوك ليقدم التعهد للحكومة منعا لاعمال الطيش والبطش والعنف قامت الحكومة بمحاولة الالتفاف على القادة المعارضين للحكومة وطلبت من الملك يالقو والملك لوقا الحضور الى الموصل للتوقيع على تعهد خطي وايضا الطلب منهما ليسافرا الى بغداد لاقناع مارشمعون بالتوقيع على تعهد خطي ليعود البطريرك الى الموصل وبعد ان تبين لهما نوايا الحكومة في التخطيط لاحتجازهما ايضا وبدلا من الذهاب الى الموصل وبغداد يتوجهان صوب الاراضي السورية وعبرا نهر دجلة من قرية فيشخابور يوم ١٧ تموز ويطلبان من ضباط الحدود الفرنسيين اللجوء ومفاتحة بيروت لاستحصال موافقتها على السماح لهما بدخول البلاد السورية وتتدفع وراء الملك يالقو مجموعات لقرى تاركين وراءهم عوائلهم من دون حماية او رعاية.

واستكمالا للجو الحربي الذي شحنته وحاكته بدقة بشكل بين ويظهر انه ناتج عن تعقد وهو غير موجود اساسا لدى مار شمعون ومن جانب اخر بدأ وزير الدفاع بابان وقائد قوات المنطقة الشمالية بكر صدقي اللذان ينتميان الى الاكراد ومعروفان بكراهيتهما للاشوريين وانتقاما للحوادث التي حصلت بين الاكراد والاشوريين جهزا خططا عسكرية مسبقة وقاما بتحريض بعض الاهالي والعشائر العربية والكردية من اجل استحصال عطفهم ومؤازرتهم ليساهموا في عملية تصفية الاشوريين المسيحيين.

ولاستكمال نوايا الحكومة والملك غازي قامت في الموصل ومن اجل دق الاسفين بين الموالين لمار شمعون وملك يالقو والمعارضين له والمتمثل بالملك خوشابا ودعتهم جميعا في اجتماع عقد يومي ١١ و ١٢ من تموز ١٩٣٣ لشرح اسكان الاشوريين وحسب القرارات الدولية مدعين انها قرارات عصبة الامم وكان المطلوب ان يتطرق الاجتماع وبحضور البريطانيين مستر ستافورد متصرف ومفتش اداري ومستر تومسن الخبير بالاسكان لابلاغ الجميع بالتعليق على مطالبة مار شمعون بالسلطة الزمنية والاعلان لهم عن رفض الحكومة القاطع لهذا الطلب وكذلك يعلنون ان الحكومة مستعدة لتقديم كافة التسهيلات للذين يعارضون المشروع الحكومي ويريدون مغادرة العراق من اجل اخراجهم من الوطن وتبعهم في ذلك البريطانيان اللذان ابدا لفراق الاشوريين المعارضين الى سوريا.

واجاب القادة الاشوريون لدعوة الحكومة بما يلي:

"اننا حين دعينا الى هذا الاجتماع كنا نظن ان هذه الدعوة تتعلق بالاسكان فقط اما الان فنقول بصورة نهائية ان غبطة البطريرك مار شمعون هو وكيلنا واننا لم نسحب منه هذه الوكالة بعد وعليه فليس في امكاننا اعطاء اي قرار الى ان يحضر غبطته هنا".

ومن جهة ثانية تقوم الحكومة باثارة حماسة الجماهير بالتلاعب على احاسيسهم الوطنية فادعت ان في هذه الهجرة تهديدا لكيان العراق وانها جزء من المؤامرة تحاك بتأييد من الانكليز والفرنسيين لمهاجمة العراق. واستمرارا لسلوك التصعيد والاثارة قامت بالحشد العسكري في مناطق العبور وكانت قبل ذلك قد شكلت قوة عسكرية اسمتها اسم قوة عماد تدربت على الحروب الجبلية والتي كانت قد اوكلت مسبقا الى العقيد بكر صدقي الذي كان متهيأ لفرصته السانحة لشفاء غليل غيظه وانتقامه من الاشوريين. وفي يوم ٢٥ تموز ١٩٣٣ جرى تحشيد القوى المؤلفة من ثلاثة ارتال من الجيش، مشاة وثلاثة ارتال من الشرطة، السيارة ومرابطة القوة الجوية تحت الانذار. وزاد هذا العمل الاستفزازي من عوامل الخوف والتوتر في المنطقة وحددت اهدافها بنزع السلاح من الاهالي الراغبين بالذهاب الى سوريا وكذلك اوعزت الى قادة القطعات العسكرية باستعمال القوة ضد الذين يرغبون في العودة وابلغت عصبة الامم انهم غير مسؤولين عن ذهاب الاشوريين الى سوريا.

وقد ابرق الملك لحكومته التوقف عن استفزاز الاشوريين وعدم نزع السلاح منهم وان العشائر العربية والكردية تحمل السلاح ايضا وعندها اكثر مما لدى الاشوريين والحكومة معا وسوف تكون عواقبها وخيمة بوجود السلاح لدى طرف وعدم وجوده لدى الطرف الاخر.. عليه ان يعود الى بغداد لتولي زمام الامور لان الاصرار على هذا الاجراء سيجر الى سفك الدماء.

ولكن رشيد عالي الكيلاني يصر بغطرسة على سياسته مما اضطر الملك الى ابراق ابنه ونائبه ليقترح على وزير الداخلية ان يصدر امرا سريا للشرطة على الحدود بعدم تجريد العائدين من الاشوريين من الحدود السورية من سلاحهم.. والا فانه سيضطر الى الرجوع.. ومع هذا فقد اصرت الحكومة على موقفها وكانها تريد الاستعجال على سفك الدماء بدل من الحل على تلافيه.

وليس هذا فحسب بل انها بدأت حملة دعائية اعلامية ورسمية ضخمة ضد الاشوريين وقد نشرت للفترة من الاول وحتى الرابع عشر من تموز اكثر من ٨٠ مقالة رئيسية في الصحف العراقية وكانت جميعها تدعو الى القضاء على الاشوريين وتسميتهم بالمتمردين والعصاة عملاء الاستعمار الامبريالي والمطالبة بابادتهم.. مما اثار الراي العام واضطرار الحكومة الى وجوب الاستمرار في طريق العنف والمواجهة.

ويطلب وزير الداخلية نقل بكر صدقي من الموصل فيرد عليهم الوزير بان بكر صدقي يحيط علما بمنطقته احاطة تامة فليس من السداد نقله. وتوجه الوزارة مذكرة الى القائم بالاعمال الفرنسية يوم ٢٣ تموز تبدي استنكارها بقبول الاشوريين لاجئين لها لانهم لم يقوموا بعمل عسكري ولا باي قتال ولن يكون بمقدور الفرنسيين قبولهم لاجئين.

وقامت السلطات الفرنسية بتجريد الاشوريين الذي عبروا نهر دجلة من معبر فيشخابور من سلاحهم واعلنت انها جردت اكثر من ١٣٠٠ شخص من السلاح وصادرت ١٣ الف طلقة بندقية حال عبورهم الى سوريا وابقت على قسم قليل جدا من الذين ارادوا العودة الى ديارهم.. والذين بدأت معهم شرارة القتال في منطقة ديرابون وهم في طريق عودتهم الى العراق وحاملين معهم سلاحهم والذي هو تقليد ليس لدى الكلدان السريان الاشوريين وانما يشمل كل العشائر العربية والكردية واخرى في العراق وخصوصا ان المجتمع الرجعي العشائري كان هو السائد في العراق.

وتصدر الحكومة بيانا في ١ اب ١٩٣٣ ويعمل البيان على شحن الهمم القومية واسس التخلص من الامبريالية وقامت بمحورة الموضوع في الاشوريين وصورتهم ورثة الانكليز والاستعمار.

نص اجزاء من البيان:

بغداد ١ اب ١٩٣٣

ملاحظة المطبوعات

ومن جانب اخر يرسل رشيد علي الكيلاني برقية جوابية لبرقية الملك فيصل الذي طالبه بضرورة قبول العائدين من الاشوريين بسلاحهم لانهم لا يشكلون خطرا على احد وهم مسالمين ويرد رشيد عالي ببرقية التالية:

جلالة الملك المعظم:

نظر لما تقتضيه مصلحة البلاد تأسف الوزارة لعدم تمكنها من الرجوع عن قرارها بشأن عدم قبول الاشوريين بسلاحهم. خاصة بعد سوقنا القوة اللازمة لتطبيق هذه الخطة المقررة.

رشيد عالي

ويعود الملك ليرسل برقية سرية في ٢٨ /تموز لنجله الملك غازي المتآمر مع الوزارة من دون علم الملك:

من صاحب الجلالة المعظم الى صاحب السمو الملكي الامير غازي:

"اطلعوا رئيس ديوان الملك على هذه البرقية. اقترح على وزير الداخلية ان يعطي امرا سريا للشرطة على الحدود الا يطلبوا الاسلحة ممن يلتجئ ويرجع فعلا وافقتم على ذلك ابرقوا حالا والا سوف اكون مضطرا ان اتحرك بالطيارة صباح الاحد واكون في بغداد يوم الاربعاء. برقيتي هذه سرية لا يطلع عليها احد".

شهداء الحركة القومية الاشورية ـ آب ١٩٣٣

بعد ان قدم الشعب الاشوري على مذبحة الحرية ما يقارب نصف مليون شهيد قبيل واثناء الحرب العالمية الاولى وما اعقبها من مأساة وفواجع مروعة وامراض قاتلة فتكت به بشكل عميق، عاد الدم الاشوري الطاهر مرة اخرى في شهر اب "اغسطس" من عام ١٩٣٣ ليروي ارض اشور، ارض الاباء والاجداد، بدماء الشهداء الابرياء الذين ذبحوا قربانا لحقهم الشرعي في تقرير مصيرهم القومي والحفاظ على كيانهم التاريخي ضد السياسات الشوفينية والبربرية الهادفة الى محو وجودهم القومي والديني.

وبدون الدخول في تفاصيل الحركة القومية الاشورية لعام ١٩٣٣، نؤكد بأن مخاوف السلطات العراقية انذاك الوهمية والمبالغة تجاه الاشوريين وتجاه الاهداف السلمية والنبيلة والمشروعة لحركتهم القومية كانت في الحقيقة تنم عن احقاد دفينة في نفوس النخبة الحاكمة التي تشربت بالنزعة العسكرية العثمانية، وتأكيدا على استعداد مسبق للقضاء على الاشوريين واقتلاعهم واتمام ما عجز عنه اسيادهم العثمانيون.

كما ان الغيرة القاتلة لكبار ضباط الجيش العراقي الهزيل من البطولة والشجاعة الفائقة التي اظهرها الاشوريون في العراق وفي ضمان الاستقرار والامن وحماية حدوده الدولية خاصة الشمالية منها، كانت قد احرقت صدورهم وحركت فيهم نوازعهم الاستعلائية والشوفينية تجاه الاشوريين واخذوا ينتظرون الفرصة السانحة للانقضاض عليهم وابادتهم.

وفعلا، وفي الايام الاولى من شهر اب من عام ١٩٣٣، جاءت الفرصة المناسبة لتنفيذ ما خططوا له عندما عجز الجيش العراقي الجيد التسليح والمدعوم من قبل الانكليز عن مجاراة مجموعة صغيرة من الاشوريين المسلحين ببنادق قديمة اثناء الاشتباك المسلح بينهم من جراء المشكلة الحدودية الناجمة عن عودة بعض الاشوريين من سوريا لجلب عوائلهم معهم بعد ان ضمنوا موطن سكن لهم هناك. فانسحب الجيش العراقي بعد ان هزم امام مجموعة من الاشوريين وتعرض الى خسائر في الارواح والمعدات، فزحف الى القرى والقصبات الاشورية في مناطق دهوك وزاخو والصابنة للانتقام من عوائل الاشوريين الذين غادروها الى سوريا، فتم القتل والتنكيل بالنساء والاطفال والشيوخ دون تمييز ورحمة. كما دمرت بعض القرى وازيل بعضها من الوجود نهائيا باسلوب وحشي بعيدا كل البعد عن ابسط قيم الانسانية والحضارة.

اما بالنسبة للقرى الاشورية الاخرى التي كان فيها بعض الرجال المسلحين باسلحة خفيفة وقديمة، فقد خشي الجيش العراقي دخولها خوفا من المقاومة التي سيواجهها، ما حدا به الى اللجوء الى الخدع الدنيئة والماكرة. فبعد ان تم التشاور والتباحث مع المستشارين الانكليز في المنطقة لوضع خطة لتجريد الاشوريين من اسلحتهم كان السفاح بكر صدقي قائد القوات العراقية في المنطقة الشمالية في الوقت نفسه يقوم بالتباحث مع مستشاريه العراقيين والانكليز في الموصل لوضع خطة منظمة التدبير وتنفيذ مذبحة ضد الاشوريين وابادتهم. وطبقا للخطة المرسومة قامت الطائرات البريطانية - العراقية بالقاء مناشير من الجو على القرى الاشورية تدعو اهاليها الى تسليم انفسهم واسلحتهم الى السلطات العراقية في بلدة سميل "اكبر التجمعات الاشورية" والتمركز في مقر الشرطة، كما قام مسؤول قوات الشرطة العراقية في البلدة المذكورة باعطاء ضمانات للاشوريين لحمايتهم فاستجاب الاشوريون الى نداء الحكومة بعد تطمين الانكليز لهم وتأكيد سلامة حياتهم، فأخذوا يسلمون اسلحتهم الى مسؤول الشرطة ويتجمعون في ساحة مركز الشرطة.

وبعد ان اطمأنت السلطات العراقية من تجريد الاشوريين اسلحتهم ابلغ ذلك القائد السيء الذكر بكر صدقي وقواته المتمركزة على طريق الموصل - دهوك. ففي الاسبوع الاول من شهر آب عام ١٩٣٣ تقدمت فرقة المجرم حجي رمضان قائد الفرقة باتجاه الاشوريين العزل المحتشدين في ساحة مركز شرطة سميل وفتحت نيران اسلحتها الرشاشة من قبل المجرم النقيب اسماعيل عباوي، امر فصيل الالية الرشاشة، دون رحمة، فلم يسلم منهم احد ثم اخرجوا بعض الاشوريين المحجوزين في سجن المركز وبقرت بطونهم بالحراب بعد ان مثل بجثثهم وكان من بينهم مجموعة من القساوسة والشمامسة حيث قطعت صلبانهم ووضعت في افواههم بعد ان عريت اجسادهم ونهبت ملابسهم وممتلكاته ثم قضي عليهم بعد تعذيب شديد بالسكاكين والحراب. وكانت الحرب المقدسة "الجهاد" ضد الاشوريين "الكفرة" قد اعلنت، وابلغت الحكومة اوامرها الى الجنود والعشائر البدوية والكردية بمكافأة كل شخص بجنيه واحد مقابل كل اشوري يجلب من قبلهم الى السلطات العراقية حيا كان ام ميتا، كما حللت الحكومة ورجال الدين المسلمين شرعا وقانونا نهب وسلب ممتلكات واراضي الاشوريين، واعتبرت اعمال القتل والاعتداء عليهم اعمالا قانونية ووطنية يعتبر الامتناع عن المشاركة فيها خيانة بحق الدين والوطن، ثم قامت قوات المجرم بكر صدقي بهجوم كاسح وهمجي على القرى الاشورية الامنة والمكتظة بالنساء والاطفال والشيوخ فصلت السيوف في رؤوسهم دون شفقة او رحمة ولم ينج من هذه المذابح حتى الاشوريون المؤيدون لسياسة الحكومة انذاك. فيروي المؤرخون ان "المنحوس الطالع" المنكوب كوريال يونان، الذي كان من اشد المتحمسين لسياسة الحكومة ومن انصارها في الوقوف ضد اهداف الحركة القومية الاشورية والذي خدم فترة طويلة في الحكومة العراقية، كان قد اعلن بيته ملجأ امنا للاشوريين المؤيدين للحكومة وطلب منهم الاحتماء واللجوء اليه، واعلن نفسه امينا ضامنا لحياتهم باعتباره مواطنا عراقيا معروفا لدى السلطات العراقية التي تثق به وتأتمنه. غير ان كل هذا لم يغير شيئا من همجية قوات بكر صدقي ومن بربرية بعض العشائر العربية والكردية انذاك، وحتى العلم العراقي الذي رفعه كوريال يونان الى جنب الراية البيضاء فوق سطح داره العالي لم ينفعه ولم ينقذه، حيث قتل هو وابنه الشاب وليم ووجدا في اليوم التالي غارقين بدمائهما في دارهما وشهادة الجنسية العراقية الملطخة بدمائهما معلقة على اعناقهما. كما عثر في غرفة واحدة من داره على ٨١ اشوريا معظمهم من النساء والاطفال والشيوخ سفكت دماؤهم بالسيوف وبنيران الاسلحة الرشاشة.

اما رجال الدين فقد اخرجوا من بين المحتشدين في دار كوريال يونان وصلبوا على صلبان مقلوبة وهم عراة بعد ان مثل بجثثهم. ويروي مؤرخو هذه المأساة بأن النساء الاشوريات اجبرن على تمزيق ملابسهن والتعري امام القائد العسكري العراقي، كما تعرضت فتيات اشوريات في التاسعة من اعمارهن الى الاغتصاب ثم الحرق وهن على قيد الحياة بعد ان مزق الكتاب المقدس ونثر على اجسادهن. كما اجبرت الكثير من النساء على شرب مياه العيون الملوثة بدماء الشهداء الاشوريين الذين القيت جثثهم فيها، وهو الاسلوب الوحشي نفسه الذي مارسه الملك الفارسي شابور الثاني في اجبار الاشوريين على شرب دماء شهدائهم اثناء الاضطهاد الاربعيني في منتصف القرن الرابع الميلادي. ثم تواصلت المذابح ضد الاشوريين في جميع قرى الصابنة وزاخو ودهوك وشيخان واقضية الموصل بالاسلوب البربري والهمجي نفسه.

وتنفيذا لسياسة المجرم بكر صدقي المجبولة بالجبن لاخفاء جرائمه وهزائم قواته اثناء الاشتباك مع الاشوريين في منطقة ديرابون على الحدود العراقية - السورية، قام بنقل العديد منهم الى تلك المنطقة ليتم ابادتهم ويكون بذلك قد اظهر للعيان كانهم قتلوا في المعركة. كما يذكر المؤرخون بان هذا المجرم قتل بنفسه وبمسدسه الشخصي ١٢ اشوريا كانوا موقوفين في سجن الموصل لاسباب لا علاقة لها بالحركة الاشورية سوى تعطشه الشديد للدماء الاشورية وجنونه والانتقام منهم.

وهكذا توالت الجرائم والمذابح ضد الاشوريين لعدة ايام بحيث اصبحت جثث شهدائهم مرمية في العراء وفي الطرق العامة لبلدة سميل وازقة القرى الاخرى لمدة تزيد عن خمسة ايام تنهش في لحمها الطيور الجارحة والحيوانات الليلية المفترسة حتى غدت رائحتها بفعل حرارة شهر اب تفوح في كل المنطقة، مما اضطر السلطات المحلية امام خشية انتشار الامراض والاوبئة وخوفا من افتضاح فعلها الشنيع امام الراي العام العالمي، الى دفنها في مقابر جماعية. ويذكر شهود عيان بأن في سميل وحدها تم دفن ٤٠٠ اشوري في ثلاث مقابر جماعية، وهناك تل صغير قرب سميل يؤكد الشهود بان مئات اخرين دفنوا بجانبه وهو التل نفسه الذي ارتوى بدماء الشهداء الاشوريين في السنوات الغابرة. وفي التقارير البريطانية السرية، يؤكد احد شهود العيان البريطانيين قوله "لقد رأيت وسمعت الكثير من الاحداث المروعة التي وقعت خلال الحرب العالمية الاولى، ولكن الذي رأيته في سميل يبعد عن تصور الانسان".

هكذا، مرة اخرى يفتح التاريخ صفحاته ليسجل مأساة اشورية جديدة ويكتب بدماء اكثر من ٤ الاف شهيد اسماء جديدة في فصل جديد من الاستشهاد الاشوري وترخيص الدماء من اجل الحرية والكرامة ومن اجل حقهم الشرعي في تقرير مصيرهم القومي بانفسهم والحفاظ على كيانهم التاريخي المتواصل.

وثيقة من الارشيف البريطاني: الاشوريون في جيش " الليفي" يهددون بالاستقالة من الجيش في مؤتمر سر عمادية

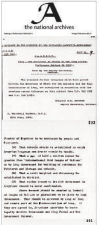

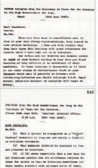

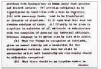

وثيقة من الارشيف البريطاني: مطاليب الاشوريين ومار شمعون وبتاكيد الانكليز بانها مطاليب وطنية وانسانية.

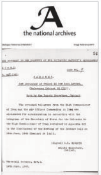

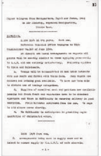

محاولة الحكومة وبعض الصحف الرسمية تصغير قضية شعب وجعلها قضية عشائرية باستخدام تسمية التياريين

العالم العربي

هذه الوثائق مأخوذة من اصدار الصحيفتين لشهر آب ١٩٣٣

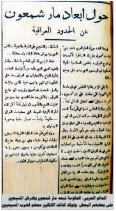

حول ابعاد مار شمعون
عن الحدود العراقية

العالم العربي: الحكومة تبعد مار شمعون وتعرض المسيحيين على بعضهم البعض. وتؤكد تحالف الانكليز معهم لضرب المسيحيين

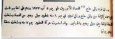

بلاغ رسمي

العالم العربي: الجيش يقوم بتطهير قرى مسيحية في جبل بيخير والتي تتضمن قرية شيري وهجركى واخرى

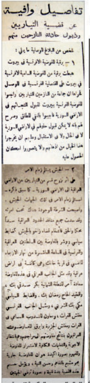

تفاصيل وافية
عن قضية التياريين
وذيول حادثة النازحين منهم

تلخص من البلاغ الرسمية ما يلي :

١ - برقية المفوضية الافرنسية في بيروت

هبطت برقية من المفوضية السامية الافرنسية في بيروت على القنصلية الفرنسية في الموصل تخبرها ان جماعة من النازحين التياريين راجعوا للمفوضية الفرنسية ببيروت لقبول التجائهم في الاراضي السورية فاجيبوا بالنفي القاطع وصرح لهم بانه لا يمكن قبول حلولهم في الاراضي السورية لا في الحال ولا في الاستقبال وعليهم ان يخرجوا هذا الخيال من اذهانهم والا يتصوروا امكان الحصول عليه

٢ - الجيش يستلم زمام الامر

على اثر نزوح قسم من التياريين من الاراضي العراقية الى الاراضي السورية - كما سبق ذكره - استلم زمام الامر في تلك الجهات الجيش، واصبحت الشرطة الموجودة هناك تحت امرته وقد سدت جميع منافذ الحدود العراقية سدا محكما والحق قائمقام قضاء زاخو بالجيش كضابط سياسي وبوشر بالمفاوضة بين السلطتين العراقية والفرنسية في الساعة العاشرة من نهار الاربعاء الماضي في قرية خانك وهي كائنة في ارض عراقية وقد مثل الجانب العراقي في هذه المفاوضة سعادة آمر المنطقة الشمالية بكر صدقي بك، والعقيد الحاج رمضان بك، والضابط السياسي مكي بك الشربتي، ومثل الجانب الفرنسي مفتش الفرات، ومعاون المندوب السامي في الفرات ومفتش الجزيرة وابرق المفاوضون العراقيون بنتائج مفاوضتهم لمراجعهم وهم بانتظار الاجوبة والتعليمات الكافية لاستمرار المفاوضة والمفهوم بصورة اكيدة هو ان المفاوضة جارية بجو مشبع بالتفاهم وحسن النية، ويؤمل حسم هذه القضية بمدة قليلة وبصورة ترضي الجهتين

العالم العربي: الحكومة تنسق مع الجانب الفرنسي لعدم قبول الاشوريين للسكن واللجوء في سوريا وبالتالي تحشد الجيش على الحدود وتسد المنافذ لمنع عودة الملتجئين من ابناء شعبنا وعودتهم الى العراق.. وعلى اثرها حدث القتال في ديرابون وفيشخابور